# قُطّاع الطّرق

أسبوع مضى وجهاز التّلفاز عندنا معطّل، أنتم تعرفون أجهزة التّلفاز في أيامنا هذه. كلّها أجهزة ذكيّة ومحكمة الصّنع ولم تعد كما كانت في الماضي. رغم ذلك طلبت من ابني الصّعود إلى سطح المنزل، لعلّ وعسى ينجح في إعادة الصّورة إلى الجهاز القابع في غرفة الجلوس يتيمًا، لا يصدر صوتًا أو صورة. عبثًا، قام ابني بتحريك "الصّحن" شمالًا وجنوبًا، شرقًا وغربًا بدون فائدة، "لا خذوا مني ولا أعطوني".

قلت لنفسي: "أجت منه مش مني" يعني لنستغلّ الوقت للعائلة للأحاديث والقراءة، للتّواجد سويّة لتقوية العلاقات الاجتماعية والأسريّة بين أفراد العائلة. وبالفعل مرّ يوم أو اثنان تحدثنا فيهما بيننا ولعبنا "الشّدّة"، تحاورنا وتسامرنا.

لم يدُم الأمر طويلًا، فقد أصاب الضّجر والملل أفراد العائلة، واستلّ كل منهم جهاز تلفونه وانطوى على نفسه، وفي اللّيل خرج الأبناء لزيارة أصدقائهم، وخرجت زوجتي وابنتي للمشتريات بقيت وحدي في البيت محاولًا القراءة لكنني لم أنجح في قراءة أكثر من صفحتين.

تحدثت مع صديق لي الذي اقترح عليّ مشاهدة مسلسلات تركيّة عن طريق "اليوتيوب". وبالفعل بدأت بتصفّح "اليوتيوب"، باحثًا عن العناوين الشّيّقة. وقعت أنظاري على مسلسل تركي يُدعى "قُطّاع الطّرق" وهو مسلسل دراماتيكي يتحدث عن عصابات المافيا في تركيا من تجّار أسلحة ومجرمين إلخ...

لا أنكر أنّ المسلسل قد جذبني وشدّني كثيرًا وأخرجني من حالة الضّجر التي عانيتها. لكن مع تقدّمي في المشاهدة وتوالي الحلقات بدأت أشعر أنني جزء من المسلسل، وأنني أعيش دورًا فعالًا في كلّ ما يجري. وجدتني أسرع في إنهاء عملي وأغادر مسرعًا لتتبّع أحداث المسلسل، المتوفّرة جميعها على "الانترنت"، يعني أنني أستطيع مشاهدة كل ما أريد ومتى ما أريد من الحلقات.

أعترف أنني بدأت أتعاطف مع بطل المسلسل لدرجة بدأت أتحدث معه وأقدم له النّصائح، وكيف عليه أن يتصرّف وماذا يجب أن يفعل أمام التّحديات التي تقف في طريقه. تزايد الحسّ الإجرامي عندي لدرجة أنني بدأت أدبّر المؤامرات والخطط في ما يدور حولي.

تغيّرت نظرتي إلى زملائي وبدأت أنظر إليهم بعين الشكّ والرّيبة "ماذا يدبّر فلان"، "ماذا يقصد خلدون؟!"، "ماذا ينوي محمد عمله؟!"، "مع مَنْ تتآمر رلى؟! " .

شعرت أنني أحد المجرمين ورجال العصابات، بدأت بإصدار الأوامر لزوجتي وأولادي بنبرة سلطويّة، أوامر حازمة صارمة وبلغة غريبة عن بيتنا. سرعان ما لاحظت زوجتي وأبنائي هذا التغيير وأبدوا استغرابهم الشّديد واستهجانهم لتصرفاتي فأنا لست كذلك.

أما أنا فبدأت أفهم الآن من أين يأتي رجال الإجرام والعصابات بأفكارهم ومخططاتهم. يعني لم يكن المجرمون في بلادنا بهذا القدر من الحيلة والحنكة كما

هم عليه اليوم، فهم بالأساس أشخاص لم يتعلموا في الجامعات والمعاهد وأستغرب إذا انهى أحدهم دراسته الثّانويّة حتى.

إذا كان الأمر كذلك فكيف استطاعوا أن يصلوا إلى هذه الدّرجة من التّخطيط والذّكاء؟ الجواب هو المسلسلات.

احذروا المسلسلات واحذروا تأثيرها على أبنائنا اللذين يرون هؤلاء المجرمين وهم يركبون السّيارات الفارهة ويسكنون البيوت الجميلة ويلبسون أغلى الثياب والحلى. بالمناسبة رأيت خلال تجوّلي في الحارات العربيّة، علامة غريبة منتشرة على حيطان المنازل. وعندما سألت عن هذه العلامة، اخبروني أنّها علامة مسلسل اسمه "الحفرة " وهو مسلسل تجري أحداثه الإجراميّة في أحد أحياء "اسطنبول" الشّعبيّة. ومن الجدير بالذّكر أنّ المسلسل قد لقي اقبالًا شديدًا في العالم العربي وحصل على العديد من الجوائز .

أمّا بالنّسبة لي فقد قررت زوجتي البحث عن تقني لتصليح التّلفاز بأي ثمن حتى لا تستفيق يومًا وتراني قد أطلقت شاربي وشمرت عن سواعدي وخططت وشمًا على كتفي استعدادًا لأي معركة قد تصادفني.

وهل يمكننا أن ننهي حديثنا بدون طرفة:

**حدث عام 1960 هروب جماعي للمجانين من مستشفى العباسيّة للأمراض العقلية ونتيجة إهمال حرس المستشفى تمكن 243 مجنون من الهرب إلى شوارع العباسيّة، ما أدى إلى حدوث**

**مشكلة كبيرة. إستدعى المدير الإداري طبيب المستشفى فورًا، وطلب منه حل المشكلة في الحال.**

**على الفور أحضر الطبيب المشهور صفّارة و طلب من بعض الموظفين أن يمسكوا به من الخلف و يلعبوا لعبة القطار و خرجوا إلى شوارع العباسية و هو يصفر و ينادي ( تووووت تووووت ) و هو يمثّل رأس القطار و من خلفه ( القاطرات ) كل واحد يمسك بالثّاني ...**

**ما توقّعه الدّكتور حدث بالفعل: كل مجنون هارب ركب في القطار، و نجح الدكتور بجمع المجانين وذهب بهم إلى المستشفى ...**

**المفاجأة كانت عندما عاد المجانين مع القطار كان عددهم 612 علمًا بأنّ عدد المجانين الهاربين كان 243 فقط.**

أرجو أن لا يصعد أبناؤنا على هذا القطار الوهمي كي لا يصبحوا مجرّد رقم من أرقام ضحايا العنف والاجرام .

دمتم بكل الخير

أ.أيمن جبارة